

الفصل الثالث :

التربية البيئية في الإسلام

مفهومها - أهدافها :

إن تفاقم المشكلات البيئية في العالم أجمع وما ترتب عليها من مخاطر تهدد كل الكائنات على السواء أصبح من الأمور التي تستوجب من الجميع المشاركة الفاعلة في مواجهة تلك المشكلات البيئية سواء أكانت مشكلات بيئية على المستوى المادي (تلوث الهواء، تلوث الماء، التلوث الإشعاعي، التلوث الضوضائي، تلوث التربة، تلوث الغذاء... الخ) أم مشكلات معنوية (تلوث خلقي، تلوث ثقافي، تلوث سياسي، تلوث اجتماعي، ... الخ). ويمكن الجزم بأن النمط الثاني، وهو التلوث المعنوي، يعتبر الأساس بل والأخطر على البيئة من كل الأنواع الأخرى، بل ويستوجب اهتمام خاص من كل الجهات المعنية على مستوى الحكومات أو مستوى الهيئات الرسمية وغير الرسمية.

وإذا كانت التربية تعد الأداة ذات الأثر بعيد المدى في تنشئة وإعداد الأجيال إعدادا تربويا يتفق والقيم الأصيلة، ويؤصل لدى الأجيال مفاهيم خلقية، واجتماعية تحض على احترام البيئة وتقديرها، مما أعطى المؤسسات التربوية، مثل: المدارس، والجامعات، والمساجد، والنوادي وغيرها، دورا بارزا في تحقيق هذا الهدف الأسمى.

ولعل الواقع الذي نعيشه يملئ علينا من المشكلات البيئية بأبعادها (المادية، والمعنوية) ما يجعل المؤسسات التربوية عاجزة عن القيام بمهامها. وقد يرجع السبب في رأينا إلى عدم وجود منهج واضح وخطة واضحة ذات أهداف يسهل تحقيقها، وكذلك غياب مفهوم التربية البيئية لدى تلك المؤسسات.

وفي ضوء ما سبق يمكن تعريف التربية البيئية في الإسلام بأنها:

"النشاط الإنساني الذي يقوم بتوعية الأفراد بالبيئة وبالعلاقات القائمة بين مكوناتها، وبتكوين القيم والمهارات البيئية وتنميتها على أساس من مبادئ الإسلام وتصوراته عن الغاية التي من أجلها خلق الإنسان، ومطالب التقدم الإنساني المتوازن".

وفي ضوء هذا التعريف للتربية البيئية من منظور إسلامي يجب أن يكون هناك تفاعل إيجابي بين الإنسان والبيئة، وأن يكون ذلك التفاعل شاملا ولا يقتصر على زمان معين أو مكان معين، وليصبح جهد الإنسان موحدا وموظفا توظيفا حضاريا وتاريخيا في ضوء العقيدة الإسلامية.

وتتضح حاجتنا الماسة إلى وجود التربية البيئية بصورة تطبيقية وليست نظرية في عصرنا الحالي، خاصة إذا تعرفنا على مظاهر سوء استخدام البيئة في العالم، ونذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر:

في المؤتمر العالمي الثاني للأمم المتحدة حول البيئة والتنمية عام 1992م والذي عقد في ريو دي جانيرو في البرازيل، أجمع ثلاثون ألف مشارك بما فيهم مئة زعيم ليوажوها مجموعة حقائق رهيبة منها:

- انخفاض إنتاج الحبوب في إفريقيا لكل فرد بمعدل 28% في السنوات الخمس والعشرين الماضية.
- فقدت إثيوبيا 90% من غاباتها منذ عام 1900م، الأمر الذي مكن مليار طن متري من التربة الفوقية من الانجراف سنويا.
- تواجه حيوانات إستراليا الأصلية الانقراض، وكان قد انقرض 28% من حيواناتها الأصلية.
- تحتاج الحياة البحرية في الخليج العربي 180 عاما كي تتخلص من عشرة ملايين برميل من النفط التي انسكبت أثناء حرب الخليج.
- تعد 10% من الأنهار المنتشرة في أنحاء العالم ملوثة، كما تلتقط المحيطات 6.5 مليون طن من النفايات سنويا.

وهكذا تتنافس هذه القضايا الملحة على الاهتمام من قبل صناع القرار في العالم ، وبالإضافة إلى ذلك تتوقع الدراسات أنه بحلول عام 2025 م ستنتف البلدان النامية في الهواء أربعة أضعاف كمية ثاني أكسيد الكربون التي تنفثها الدول المتقدمة اليوم، كما يتوقع أن تفقد الأرض أكثر من 25٪ من الأجناس الموجودة حالياً.

- إن الإنسان في دول الشمال يستهلك من المياه ويولد من الملوثات بما يزيد عن عشرين ضعفاً عن المواطن في دول الجنوب.

- إن التلوث الذي يسببه مواطن أمريكي واحد يزيد على ذلك الذي يسببه مواطن عادي من دول العالم الثالث بعشرين إلى مائة مرة، ويأكل استهلاك الأمريكي الواحد للطاقة ما يستهلكه ثلاثة يابانيين، أو ستة مكسيكيين، أو 13 صينيا أو 35 هندياً أو 153 بنغلادش أو 499 إثيوبياً.

كما تشير الإحصاءات إلى أن العالم قد خسر في عام واحد فقط، حوالي 36 نوعاً من الحيوانات الثديية، 94 نوعاً من الطيور بالإضافة إلى تعرض 311 نوعاً آخر للخطر. أما الغابات فهي في تناقص مستمر بمعدل 2٪ سنوياً نتيجة الاستنزاف وتلوث الهواء المنتج للأمطار الحامضية، وكذلك التربة فإنها تتناقص باستمرار بمعدل 7٪ من الطبقة العليا كل عقد، وذلك بسبب الانجراف والتآكل بشكل مستمر نتيجة الإنهاك المستمر بالزراعة الكثيفة أو الري الكثيف، مما يؤدي إلى ملوحة التربة وتصحرها.

كذلك تسود استخدامات المياه ممارسات خاطئة تؤدي إلى ندرة المياه ونضوبها، بالإضافة إلى الانخفاض الطبيعي الحاصل في منسوب المياه في باطن الأرض، الأمر الذي يهدد البشرية بخطر حقيقي.

إن هذه الحقائق والإحصاءات توضح مدى خطورة الوضع الذي وصلت إليه الأرض نتيجة سوء استخدام البيئة من قبل الإنسان، وهي مظاهر تستلزم التدخل السريع للإنقاذ، ولا إنقاذ للبشرية إلا بالإسلام.

وتأتي أهمية وحتمية وجود أهداف للتربية البيئية من منظور إسلامي لتؤكد

- لجميع أن الإسلام دين يؤكد على احترام وتقدير البيئة انطلاقاً من أهداف عدة منها:
- 1- تنمية الوعي البيئي لدى الإنسان المسلم عن طريق تزويده بالرؤية الصحيحة عن البيئة ومكوناتها بما يحقق دوره المطلوب في الأرض باعتباره خليفة الله فيها.
 - 2- تنمية وتكوين القيم والاتجاهات والمهارات البيئية الإسلامية لدى الإنسان المسلم، حتى يستطيع على ضوئها مواجهة مختلف صعابها بإرادة قوية، ومن ثم استغلالها بصورة نافعة بما يحقق أهداف الإسلام.
 - 3- تنمية قدرة الإنسان المسلم على تقويم إجراءات وبرامج التربية والتعليم المتصلة بالبيئة من أجل تحقيق تربية بيئية أفضل.
 - 4- إيجاد التوازن وتعزيزه بين العناصر الاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية المتفاعلة في البيئة لما فيه صالح الإنسان المسلم.
 - 5- فهم الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والطبيعية وعلاقة الإنسان المسلم بالقضايا والتلوث.

القيم البيئية الإسلامية

هي " مجموعة الأحكام المعيارية المنبثقة من الأصول الإسلامية، التي تكون بمثابة موجّهات لسلوك الإنسان تجاه البيئة، تمكنه من تحقيق وظيفة الخلافة في الأرض ".

أقسام القيم البيئية الإسلامية :

- | | |
|--------------------------------|-------------------------|
| أولاً - قيم المحافظة. | ثانياً - قيم الاستغلال. |
| ثالثاً - قيم التكيف والاعتقاد. | رابعاً - قيم الجمال. |

أولاً: قيم المحافظة

- وتختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو المحافظة على مكونات البيئة، وتشمل:
- المحافظة على نقاوة الغلاف الجوي.
 - المحافظة على نظافة الثروة المائية.
 - المحافظة على رعاية الثروات النباتية .

- المحافظة على رعاية الثروات الحيوانية .
- المحافظة على استخدام الثروات المعدنية و اللامعدنية .
- المحافظة على نظافة الطرقات .
- المحافظة على نظافة بيوت الله والبيوت العامة .
- المحافظة على الصحة البدنية .
- المحافظة على الهدوء وتوفيره .

ثانيا: قيم الاستغلال

هي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو الاستغلال الجيد والأمثل لمكونات البيئة . وتتضمن عدم الإسراف ، وعدم التبذير ، والبعد عن الترف ، والاعتدال والتوازن في كل شيء ، حيث يدعو الإسلام الإنسان إلى الاعتدال في استهلاك موارده البيئية بحيث تكفى ضرورته وحاجاته ، بدون إفراط ولا تفريط .

ثالثا: قيم التكيف والاعتقاد

هي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو التكيف مع بيئتهم ، ونحو تصحيح معتقداتهم السلبية تجاهها وتشمل الآتي :

التكيف مع التغيرات الطبيعية، مثل: قسوة الظروف المناخية، طبيعة الأرض. وكذلك الابتعاد عن المعتقدات الخرافية، مثل: التعاويذ والتهايم والتبرك بالشجر، والكهانة، والتشاؤم، وغيرها.

رابعا: قيم جمالية

وهي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الإنسان نحو التذوق الجمالي لمكونات البيئة. قال صلى الله عليه وسلم: « إن الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغمط الناس ». أخرجه مسلم.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ۚ وَمِنَ

النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ ﴿٢٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَلُورٌ ﴿٢٩﴾ (سورة فاطر، الآيات: 27 - 28).

﴿ قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكَلُّونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهَا أَنْدَادًا ذَلِكَ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ
أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿٢﴾ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا
طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٣﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ
سَّمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِلَاطٍ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤﴾
(سورة فصلت، الآيات: 9 - 12).

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴾ ﴿١﴾ (سورة الحجر، الآية: 16).
وتبين الآيات عظيم صنعه وروعة وجمال الصنعة وعظمة الصانع سبحانه وتعالى،
الذي خلق كل شيء جميل .